دار القاسم

يابني إنني أمك

عبد الملك القاسم

الريـاض : ١١٤٤٢ ص.ب : ٦٣٧٣ ت : ٤٠٩٢٠٠٠ ف : ٤٠٣٣١٥٠
فروعنا - جدة ت : ٦٠٢٠٠٠٠ بريدة ت : ٣٢٦٢٨٨٨
www.dar-alqassem.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فارج الهم، وكاشف الغم، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وبعد:-

يابني: هذه رسالة مكلومة من أمك المسكينة.. كتبتُها على استحياء بعد تردد وطول انتظار.. أمسكتُ بالقلم مرات فحجزتْه الدمعة! وأوقفتُ الدمعة مرات، فجرى أنين القلب.

يابني.. بعد هذا العمر الطويل أراك رجلاً سوياً مكتمل العقل، متزن العاطفة.. ومن حقي عليك أن تقرأ هذه الورقة وإن شئت بَعدُ فمزقها كما مزقت أطراف قلبي من قبل!

يابني.. منذ خمسة وعشرين عاماً كان يومٌ مشرقٌ في حياتي عندما أخبرتني الطبيبة أني حامل! و الأمهات يا بني يعرفن معنى هذه الكلمة جيداً! فهي مزيج من الفرح والسرور، وبداية معاناة مع التغيرات النفسية والجسمية.. وبعد هذه البشرى حملتُك تسعة أشهر في بطني فَرحةً جَذْلى؛ أقوم بصعوبة، وأنام بصعوبة، وآكل بصعوبة، وأتنفس بصعوبة. لكن ذلك كله لم ينتقص من محبتي لك وفرحي بك! بل نَمَتْ محبتُك مع الأيام، وترعرع الشوق إليك!

حملتك يا بني وهناً على وهن، وألماً على ألم.. أفرح بحركتك، وأُسَرُّ بزيادة وزنك، وهي حمل عليَّ ثقيل!

إنها معاناة طويلة، أتى بعدها فجر تلك الليلة التي لم أنم فيها ولم يغمض لي فيها جفن، ونالني من الألم والشدة والرهبة والخوف ما لا يصفه قلم، ولا يتحدث عنه لسان.. اشتد بي الألم حتى عجزت عن البكاء، ورأيت بأم عيني الموت مرات عديدة! حتى خرجتَ إلى الدنيا فامتزجت دموعُ صراخك بدموع فرحي، وأزالت كل آلامي وجراحي، بل حنوتُ عليك مع شدة ألمي وقبَّلتُك قبل أن تنال منك قطرة ماء!

يا بُنيّ.. مرت سنواتٌ من عمرك وأنا أحملك في قلبي وأغسلك بيدي، جعلت حجري لك فراشاً، وصدري لك غذاء.. سهرت ليلي لتنام.. وتعبت نهاري لتسعد.. أمنيتي كلَّ يوم: أن أرى ابتسامتك، وسروري في كل لحظة: أن تطلب شيئاً أصنعه لك.. فتلك هي منتهى سعادتي!

ومرت الليالي والأيام وأنا على تلك الحال خادمة لم تقصر، ومرضعة لم تتوقف، وعاملة لم تسكن، وداعـية لك بالخير والتوفيق لا تفتر، أرقبك يومـاً بعد يوم حتى اشتـدَّ عودك، واستقـام شبابك، وبدت عليك مـعالم الرجولة، فـإذا بي أجري يميناً وشمالاً لأبحث لك عن المرأة التي طلبت!

وأتى موعد زواجك، واقتـرب زمن زفافك، فتقطع قلبي، وجرت مـدامعي، فرحةً بحياتك الجديدة، وحزناً على فراقك! ومرت السـاعات ثقيلة، واللحظات بطيئة، فإذا بك لست ابني الذي أعرفـك. اختفت ابتسـامتك، وغاب صـوتك، وعبس محـياك،، لقد أنكرتني وتناسيت حقي! تمر الأيام أراقب طلعتك، وأنتظر بلهف سماع صوتك. لكن الهجر طال والأيام تباعـدت! أطلت النظر إلى الباب فلم تأت! وأرهفت السمع لرنين الهـاتف حـتى ظننت بـنفسـي الوسواس! هـاهي الليـالي قـد أظلمت، والأيام تطاولت، فلا أراك ولا أسمع صوتك، وتجاهلت مَن قامت بك خير قيام!

يا بني: لا أطلب إلا أقـل القليل.. اجـعلني في منـزلة أطرف أصـدقـائك عندك، وأبعدهم حظوةً لديك! اجعلني يا بني إحدى محطات حـياتك الشهرية لأراك فيها ولو لدقائق..

يابني.. احـدودب ظهري، وارتـعـشت أطرافي، وأنهكتني الأمـراض، وزارتني الأسقام.. لا أقوم إلا بصعوبة، ولا أجلس إلا بمشقة، ولا يزال قلبي ينبض بمحبتك!

لو أكـرمك شخص يومـاً لأثنيت على حـسن صنيـعه، وجـمـيل إحسـانه.. وأمك أحسنت إليك إحساناً لا تراه ومعروفاً لا تجـازيه.. لقد خدمتْك وقامتْ بأمرك سنوات وسنوات! فأين الجزاء والوفاء؟! ألهذا الحد بلغت بك القسوة وأخذتك الأيام؟!

يا بني.. كلمـا علمت أنك سعيد في حـياتك زاد فـرحي وسروري.. وأتعـجب وأنت صنيع يدي.. أي ذنـب جنيتـه حتـى أصبحـت عدوة لـك لا تطيق رؤيتي، وتتـثاقل عن زيارتي؟! هل أخـطأتُ يومـاً في مـعاملتك، أو قـصـرت لحظة في خدمتك؟! اجعلني من سائر خـدمك الذين تعطيهم أجورهم.. وامنحني جزءاً من رحمتك.. ومُنَّ عليَّ ببعض أجري.. وأحسن فإن الله يحب المحسنين! يا بني أتمنى رؤيتك! لا أريد سوى ذلك! دعني أرى عبوس وجهك وتقاطيع غضبك.

يابني.. تفطر قلبي، وسالت مدامعي، وأنت حيٌّ ترزق! ولا يزال الناس يتحدثون عن حسن خلقك وجودك وكرمك!

يا بني.. أما آن لقلبك أن يرقَّ لامرأة ضعيفة أضناها الشوق، وألجمها الحزن! جعلتْ الكمد شعارها، والغم دثارها! وأجريتَ لها دمعاً، وأحزنتَ قلباً، وقطعتَ رحماً..

يا بني: هاهو باب الجنة دونك فاسلكه، واطرق بابه بابتسامة عذبة، وصفح جميل، ولقاء حسن.. لعلِّي ألقاك هناك برحمة ربي كما في الحديث: **«الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب، أو احفظه»** [رواه أحمد].

يا بني: أعرفك منذ شب عودك، واستقام شبابك، تبحث عن الأجر والمثوبة، لكنك اليوم نسيت حديث النبي ﷺ.. **«إنَّ أحب الأعمال إلى الله الصلاة في وقتها، ثم برُّ الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله»** [متفق عليه]. هاك هذا الأجر دون قطعِ الرقاب وضربِ الأعناق، فأين أنت عن أحبِّ الأعمال؟!

يا بني: إنني أعيذك أنَ تكون ممن عناهم النبي ﷺ بقوله: **«رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه!** قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: **«من أدرك والديه عند الكبر، أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة»** [رواه مسلم].

يا بني.. لن أرفع الشكوى، ولن أبثَّ الحزن، لأنها إن ارتفعت فوق الغمام، واعتلت إلى باب السماء أصابك شؤم العقوق، ونزلت بك العقوبة، وحلَّت بدارك المصيبة.. لا، لن أفعل.. لا تزال يا بني فلذة كبدي، وريحانة فؤادي وبهجة دنياي!

أَفِقْ يا بني.. بدأ الشيب يعلو مفرقك، وتمر سنوات ثم تصبح أباً شيخاً، والجزاء من جنس العمل.. وستكتب رسائل لابنك بالدموع مثلما كتبتها إليك.. وعند الله تجتمع الخصوم!

يابني.. اتق الله في أمك.. **«والزمها فإنَّ الجنة عند رجليها»** كفكف دمعها، وواس حزنها، وإن شئت بعد ذلك فمزق رسالتها!

واعلم: أن من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها..

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

دار القاسم تقدم برنامج القراءة بالمراسلة: يصلك شهرياً ٤كتيبات + ٤كتيبات جيب + ٤مطويات بإشتراك سنوي ١٧٥ ريال فقط

حقوق الطبع والنشر محفوظة

تجدون المزيد على موقع المطويّات الإسلاميّة : www.matwiat.com